

الفصل الثامن

تَدْمِيرُ هَلِكِي الصَّيْحَةِ

تدميرِ ثمود :

جاء أول ذكر في القرآن الكريم لتدمير ثمود في سورة الشمس ، اذ يقول :

« كذبت ثمود بطغواها . اذ انبعث اشقيها . فقال لهم رسول الله :
ناقة الله وسقياها . فكذبوه ، فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
فسواها » . (الشمس : ١١ - ١٤)

ومن المعلوم - لفة - أن دمدم الشيء ، يعنى الزقه بالأرض وطخطحه .



ثم ذكر القرآن بعد ذلك مزيدا من الايضاح لتدمير ثمود ، وذلك في قوله :

« انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحتظر » .
(القمر : ٣١)

وفي هذا قال المفسرون : « أى بادوا عن آخرهم .. والمحتظر - قال
السدى - هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق وتسفيه الريح .. وقال
سعيد بن جبير : (هشيم المحتظر) هو التراب المتناثر من الحائط . وهذا
قول غريب ، والأول أقوى والله أعلم » (١) .



(١) نسر القرطبي .

ثم جاء في سورة الأعراف :

« فأخذتهم الرجفة ، فأصبحوا في دارهم جاثمين » . (الأعراف : ٧٨)

وقد ذكر المفسرون في معناها لما « أشرفت الشمس ، جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح ، وزهقت النفوس في ساعة واحدة » (١) .

وذكروا كذلك في معنى قوله : (فأخذتهم الرجفة) - قال الفراء والزجاج : هي الزلزلة الشديدة .

قال تعالى : (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) .

قال الليث : يقال رجف الشيء ، يرجف رجفا ورجفانا كرجفان البعير تحت الرحل ، وكما يرجف الشجر إذا أرجفته الريح » (٢) .

*

وفي سورة الشعراء ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى عن ثمود : « فأخذهم العذاب » ، « أن أرضهم زلزلت زلزالا شديدا ، وجاءتهم سبيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها ، وأتاهم من الأمر ما لم يكنوا يحتسبون » (٣) .

*

وفي سورة فصلت :

« وأما ثمود فهديناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ، بما كانوا يكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » .
(فصلت : ١٧ - ١٨)

(١) تفسير ابن كثير .

(٢) تفسير الفخر الرازي .

(٣) تفسير ابن كثير .

وفي هذا قال المفسرون : « بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا » (١) .

ونقل الفخر الرازي عن بعض من سبقوه وفي وصف ما حل بشود :
« قيل : وصلت الصاعقة اليهم فاحترقوا وصاروا كالرماد » . وكذلك قال القرطبي (٢) .



ويتدعم رأى المفسرين الذين قالوا بأن الصاعقة أحرقت شؤد بغتة فصاروا كالرماد ، وذلك فيما نراه في سورة الذاريات :

« وفي شؤد اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فتعوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » .
(الذاريات : ٤٣ - ٤٥)

وقد اكتفى ابن كثير في تفسير هذه الآيات بقوله : « انهم ائظروا العذاب ثلاثة أيام ، فجاءهم في صيحة اليوم الرابع بكره النهار » .



ويجب أن نفرق بين كلمتي : « صاعقة » و « الصاعقة » .
فالأولى : نكرة حين تسند الى معرفة فانها تعنى عذابا حل بمن استندت اليه . ومن ذلك ما جاء في سورة فصلت : « فان عرضوا فقبل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

وفيها قال المفسرون : انذركم حلول قمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضيين من المكذبين بالمرسلين (٣) .



(١) تفسير ابن كثير .

(٢) تفسير الفخر الرازي والقرطبي - سورة الامران .

(٣) تفسير ابن كثير .

وأما الثانية : وهى الصاعقة فهى معرفة ، وتعرف - لغة - بأنها نار تسقط من السماء فى رعد شديد فهى تلميز جوى ، له أسبابه وتأثيراته الخاصة به .

ونجد مثيلا لذلك فيما يذكره القرآن الكريم عن كلمتى : « الماء » - و « ماء » .

فالأولى : تعنى الماء الذى ينزل من السماء فيشربه الكائن الحى من : انسان وحيوان ونبات ، فيحيا به ، وبدونه يموت ، وهو الماء الذى يتكون من اتحاد عنصرى الأوكسجين والايديروجين اتحادا كيميائيا بنسبة ثابتة ، وهو الماء الذى دخل فى تركيب الخلية الحية والذى قال فيه الله - سبحانه - « وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

أما الثانية : وهى كلمة ماء - فانها تعنى جسما سائلا يختلط به الماء أو يدخل فيه كأحد مركباته ، ولكنها لا تعنى الماء الطبيعى - ومثال ذلك ما يقوله القرآن الكريم فى « أصل أنواع » الكائن الحى غير الانسان والنبات :

« والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير » .
(النور : ٤٥)

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق » .

(الطارق : ٥ - ٦)

فماء كل دابة هنا هو « أصل نوعها أو مادتها الأولى » وهو شىء مختلف تماما عن الماء الطبيعى وان اشتغل عليه :

ويتأكد هذا المعنى تماما حين نراجع ما يذكره القرآن عن مادة خلق الانسان ، اذ ساءها ماء فقال :

« ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم » .
(الرسالات : ٢٠ - ٢٢)

ونلاحظ ان ابن كثير قد جانبه الصواب في تفسير قوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » .

اذ قال : « يذكر - تعالى - قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها ، من ماء واحد » .

فهو وان كان قد فرق بين كلمتي : ماء والماء ، الا انه جعل أصل الدواب ماء واحدا . وهذا مالا نراه في القرآن الكريم .



وإذا كنا نجد ان ما حل بشمود قد وصف بالطاغية ، كما قال القرآن الكريم في سورة الحاقة : « اما شمود فاهلكوا بالطاغية » - فقد نسبت الطاغية - في نفس السورة - الى الماء ، وذلك في اشارته الى طوفان نوح :

« انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية » .

ويقول الفخر الرازي : « قال أبو مسلم : الطاغية اسم لكل ما تجاوز حده ، وسواء كان حيوانا أو غير حيوان ، وألحق الهاء به للمبالغة . فالمسلسون يسسون الملك العاتي بالطاغية والطاغوت - وقال في غير الحيوان (انا لما طغى الماء) أى غلب وتجاوز عن الحد (١) » .

ثم يجمع لنا الفخر الرازي ما يراه قد حل بشمود فيقول : « اما الرجفة فيوم الزلزلة في الأرض ، وهي حركة خارجة عن المعتاد ، فلم يبعد اطلاق اسم الطاغية عليها . واما الصيحة فالغالب ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة العظيمة الهائلة .

فان قيل : فما السبب في كون الصيحة موجبة للسوت ؟

١ - تفسير فخر الرازي : سورة الاعراف .

قلنا : فيه وجوه . أحدهما : ان الصيحة العظيمة انما تحدث عن سبب قوى يوجب تموج الهواء ، وذلك التموج الشديد ربما يتعدى الى صماخ الانسان فيمزق غشاء الدماغ فيورث الموت .

والثانى : انها شئ مهيب فتحدث الهيبة العظيمة عند حدوثها والأعراض النفسانية اذا قويت أوجبت الموت .

الثالث : ان الصيحة العظيمة اذا حدثت من السماء فلا بد وأن يصحبها برق شديد محرق وذلك هو الصاعقة (١) .

* *

هكذا —ويمكن تلخيص ما أصاب ثمود وفق روايات المفسرين وتصوراتهم مع الحرص على استخدام تعبيراتهم اللفظية فى النقاط التالية :

١ — بعد أن رفضت ثمود دعوة صالح رسول الله وتآمرت عليه القبيهم نذيره « فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب » .

ان هذا ماتذكرة الآية ٦٥ من سورة هود ، هذه السورة التى قال فيها سيدنا رسول : « شيبتى هود واخوانها » .

٢ — وما أن اقضت أيام المتعة الثلاث ، حتى جاءهم الهول على غرة ، « فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » .

« والصاعقة — لغة — هى نار تسقط من السماء فى رعد شديد » ذى صوت مفرع .

« لقد انتظروا العذاب — فى تحد — ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار » .

(١) تفسير الفخر الرازى : سورى الامراف ، وهود .

وتبين من الآيات أن الجو لا بد وقد كان صحوا لا يندر بالخطر .
ولذلك استمروا في طغيانهم يهزءون بصالح ونذيره . ولو بدت لهم أدنى
ظاهرة جوية مفزعة لتراجعت غالبيتهم على الأقل ان لم يترجعوا جميعا .

٣ -- فكان الذى شعروا به فى صبيحة اليوم الرابع والجو صحوا لا يندر
بسوء : « صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم فزهقت النفوس
فى ساعة واحدة » .

لذلك أن « الرجفة هى الزلزلة فى الأرض وهى حركة خارجة عن المعتاد »
لذلك أطلق اسم الطاغية عليها لأنها تجاوزت كل حد فطفت .

٤ - فهم بذلك صاروا « كالمرعى المحترق بالصحراء تسفيهه الريح
وكالتراب المتناثر من الحائط » .

٥ - والخلاصة : أنهم هلكوا فجأة فلقد أتاهم من الأمر ما لم يكونوا
يحتسبون ، اذ احترقوا وصاروا كالرماد ، - بعد أن نزلت بهم نار من
السماء روعتهم بوهجها الشديد « وهم ينظرون » وبأصواتها الرهيبة التى
فعلت فعلها فيهم .



من احاديث الرسول فى ثمود :

بعد ان استعرضنا أغلب تفاسير آيات القرآن الكريم التى ذكرت ثمود
وتدميرها ، فانا نذهب الى احاديث الرسول الأمين ، لنستبين منها المزيد من
أمر ثمود .

والحق أنها تفتح أعيننا على شىء عجيب ..

فقد ذكر ابن كثير فى تفسيره : قال الامام أحمد أيضا حدثنا ، يزيد بن
هارون المسعودى عن اسماعيل بن واسط عن محمد بن أبى كبشة الانمارى
عن أبيه قال : لما كان فى غزوة تبوك تسارع الناس الى أهل الحجر يدخلون

عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنادى في الناس الصلاة جامعة .

قال فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول « ماتدخلون على قوم غضب الله عليهم » (١) .

ويقول مسلم في صحيحه : حدثني حرملة بن يحيى ، أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب وهو يذكر الحجر مساكن ثمود ، قال سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال : مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - على الحجر فقال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم . ثم زجر (ناقته) فأسرع حتى خلفها (٢) .

وذكر ابن كثير أيضا في ديار ثمود : « مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ديارهم ومساكنهم ، وهو ذاهب الى تبوك سنة تسع (هجريه) قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرة عن نافع عن ابن عمر قال : لما نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعمجنوا منها ونصبوا لها القدور ، فأمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فاهراقوا القدور وعلفوا المعجن الابل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال : اني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم (٣) .

» وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال : لما مر رسول الله - صلى الله

(١) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

(٢) صحيح مسلم : الجزء ١٨ - ص ١١٠٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

عليه وسلم - بالسحر قال : لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح فكانت -
يعنى الناقة - ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر
ربهم فعقروها .

وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما ، فعقروها فأخذتهم
صيحة .. الا رجلا واحدا كان في حرم الله . فقالوا من هو يا رسول الله ،
قال : أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه مما أصاب قومه » .

« وقال عبد الرازق عن معمر أخبرني اسماعيل بن أمية ان النبي - صلى
الله عليه وسلم - مر بقبر أبي رغال فقال : أتدرون من هذا ؟ قالوا الله
ورسوله أعلم .

قال : هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود ، كان في حرم الله فمنعه حرم الله
عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن هاهنا » (١) .



ويتضح لنا من أحاديث رسول الله في ثمود أمورا هامة ، منها :

١ - ان الإقامة بديار ثمود شيء خطير مما دعاه عليه السلام - ان ينادى
في الناس : « الصلاة جامعة » ، حتى اذا اجتمعوا وقف فيهم محذرا
وهإنذرا خطورة ما أقدموا عليه .

٢ - وأنه يحظر استخدام مياهها ، فقد أمر عليه السلام باهراق القدور
التي ملئت منها ، ونهى عن استخدام العجين الذي عجن بمائها .

٣ - وانه من الخير للانسان ألا يمر بها فان كان لا مجاله فاعلا ، فمن
الواجب أن يكون المرور بها سريعا كما فعل - عليه السلام - حين
« زجر (ناقته) فأسرع حتى خلفها » .

(١) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

٤ - وتبين قصة أبي رغال أن العذاب الذي نزل بشمود أطبق على مساكنهم وأودبتهم لا ينجو منه الا من أسرع بنفسه بعيدا عن تلكم الديار ، بصرف النظر عن كونه مؤمنا أو غير مؤمن .

فلقد كان أبو رغال مؤمنا وكان قد التجأ الى مكان بعيد عن تلك الاماكن المنكوبة فكان بذلك « في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله . فلما خرج - من ملجئه ونزل بأرضهم - أصابه ما أصاب قومه « فهلك ومات أى أن ما حل بشمود كان كارثة أظلت مساكنهم فأصابت كل من أدركته ولو كان من المؤمنين . واستمرت هذه الكارثة تصيب كل من يدركها حتى بعد وقوعها كما فعلت بالمؤمن أبي رغال .

بل ان هذه الكارثة استمرت آثارها تصيب من يتعرض لبقاياها ، ولو بعد العديد من القرون .



وبعد - ان أحاديث الرسول تبين لنا بوضوح أن ديار ثمود تعتبر منطقة ملوثة .

كما أن هذه الأحاديث بجانب ما يستخلص من أقوال المفسرين تقودنا الى استنباط ان ما حل بشمود : كان تدميرا ذريا .

ويكفنا التحقق من ذلك بعد أن نلمح شيئا يسيرا من كيفية تدمير هلكى الصيحة الآخرين ثم نلم بشيء مما يقوله العلم فى هذا المجال .



هذا - ويجب أن نذكر الآن ما يقوله القرآن الكريم من نجات صالح ومن معه من المؤمنين قبل وقوع الكارثة التى حلت بشمود .

« فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
ان ربك هو القوى العزيز . واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم
جاثمين » . (هود : ٦٦ - ٦٧)

لقد نجا صالح ومن معه من المؤمنين بالامد عنهم وعن مساكنهم .
« فتولي عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، ولكن
لا تحبون الناصحين » . (الاعراف : ٧٩)

* * *

تدمير قوم لوط :

جاء أول ذكر في القرآن الكريم لتدمير قوم لوط في سورة القمر ، اذا يقول :

« كذبت قوم لوط بالنذر . انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمة من عندنا كذلك نجزي من نذكر . ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فلذوقوا عذابي ونذر . ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر » . (القمر : ٣٣ - ٣٨)

ومن المعلوم - لغة - أن الحاصب يعنى الريح الشديد تثير الحصباء ، وهى الحصى الصفار ، وتستعمل فى كل عذاب (١) .



ثم ذكر القرآن الكريم بعد ذلك خاصة ارتبطت باهلاك قوم لوط الا وهى استخدام امطار خاصة لتدميرهم .

« ولوطا اذا قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ااكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم ، انهم اناس يتطهرون . فانجيناه واهله ، الا امراته كانت من الغابرين . وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » . (الاعراف : ٨٠ - ٨٤)

واستمر القرآن الكريم يذكر فى مواضع كثيرة استخدام امطار السوء فى تدمير قوم لوط :

« ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء ، افلم يكونوا يرونها ، بل كانوا لا يرجون نشورا » . (الفرقان : ٤٠)

« وامطرنا عليهم مطرا ، فساء مطر المنذرين » . (الشعراء : ١٧٣ ، النمل : ٥٨)

(١) تفسير القرطبي : سورة المنكبوت .

ونلاحظ ان استخدام كلمة « مطر » في صورتها النكرة ، أو اضافتها الى السوء لتعرف به ، انما يرجع - حسبما نرى - لأن المتعارف عليه هو أن « المطر » يعنى الماء الذى ينزل من السماء فيحيى موات الأرض وكائناتها الحية . أما كلمة « مطر » فانها تعنى شيئاً آخر ، وان كان يشارك المطر في صورته العامة وهو أنه ينزل من السماء . ويذكرنا هذا بما سبق بيانه في استخدام القرآن الكريم لكلمتى : « ماء » و « الماء » - وكلمتى : « صاعقة » ، و « الصاعقة » (١) .



ويذكر لنا القرآن مزيداً من كيفية تدمير قوم لوط ، فيقص في سورة هود كيف جاءت الملائكة لزيارة لوط ، رسلاً من الله في صورة بشرية لتلقنه خطة النجاة من الهلاك الذى بات وشيكاً ينتظر قومه :

« ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ، وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون اليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفى ، اليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد . قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد » .

وعندئذ قالت الملائكة : « يا لوط : انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك ، فاسر باهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم احد الا امراتك ، انه مصيبها ما اصابهم ، ان موعدهم الصبح ، اليس الصبح بقریب .

فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببعيد » .
(هود : ٧٧ - ٨٢)

وفى هذا قال المفسرون :

(١) راجع صفحة ١٢٣ ، ١٢٤ .

« أخبرته الملائكة أنهم رسل الله اليه وأنهم لا وصول لهم اليه (قالوا يا لوط انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك) وأمروه أن يسرى بأهله آخر الليل ، وان يتبع أدبارهم أى يكون ساقية لأهله (ولا يلتفت منكم أحد) أى اذا سمعت ما نزل بهم ، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ولكن استمروا ذاهبين (الا امرأتك) قال الأكثرون هو استثناء من المثبت وهو قوله (فأسر بأهلك) تقديره (الا امرأتك) .

(فلما جاء أمرنا) وكان ذلك عند طلوع الشمس (جعلنا عاليها) وهى سدوم (سافلها) كقوله (فغشاها ما غشى) (١) أى أمطرنا عليها حجارة من سجيل .

قال بعضهم من سنك وهو الحجر .. وقال بعضهم مشوية .

وقوله (منضود) قال بعضهم منضود فى السماء أى معدة لذلك ، وقال آخرون (منضود) أى يتبع بعضها بعضا فى نزولها عليهم ، وقوله (مسومة) أى معلقة مختومة عليها أسماء أصحابها .. وقال قتادة وعكرمة (مسومة) مطوفة بها نضح من حرمة . وذكروا أنها نزلت على أهل البلد وعلى المتفرقين فى القرى مما حولها .

وقال محمد بن كعب القرظى كانت قرى قوم لوط خمس قرىات : سدوم وهى العظمى ، وصعبة ، وصمود ، وغسرة ، ودوحاء ، احتملها جبريل بجناحه .. ثم كفاها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة . فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات .. ومن لم يمت حتى سقط للارض ، أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذا فى الأرض يتبعهم فى القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأثمه الحجر فيقتله ، فذلك قوله عز وجل (وأمطرنا عليهم) أى فى القرى حجارة من سجيل هكذا قال السدى « (٢) .

(١) « والمؤتفكة أهوى . فغشاها ما غشى » (النجم : ٥٢ - ٥٤) .

(٢) تفسير ابن كثير : سورة هود .

وقالوا أيضا في معنى قوله تعالى « حجارة من سجيل منضود » .
« السجيل الشديد الكثير .. والسجيل عند العرب كل شديد صلب .
منضود : قال ابن عباس متابع ، وقال قتادة نضد بضمه على بعض حتى
صار جسدا واحدا ، وقال عكرمة مصفوف ، وقال بعضهم مرصوص ، والمعنى
متقارب (١) .

وقالوا أيضا : (سجيل) موضع الحجارة ، وهي جبال مخصوصة . .
(مسومة) صفة للاحجار .
قال ابن جريج كان عليها سيما لا تشارك حجارة الأرض وتدل على انه
— تعالى — انما خلقها للعباد (٢) .



وتقف هنا وقفة لكي نستوعب معنى قوله « مسومة عند ربك » فنجد
معاجم اللغة تقول « السومة » هي العلامة تجعل على الشاة ، وفي الحرب .
والخل (المسومة) أى المرعية وأيضا المعلمة .
وتذكر سورة الذاريات « انرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند
ربك للمسرفين » وقد ذكر ابن كثير في تفسيرها : « (حجارة من طين
مسومة) أى معلمة (عند ربك للمسرفين) أى مكتوبة عنده بأسمائهم » .
من ذلك نفهم أن (مسومة) يعنى مرتبطة بمن تصيبهم ، أو بتعبير آخر:
مخصص لكل مصاب جزء منها .

ولنعلم أن المفسرين اتفقوا على أن تلك الحجارة كانت دقيقة الحجم ،
فقد ذكر البيضاوى في تفسيره أنها فى حجم حبة القمح ، وكذلك ذكر ابن
كثير أنها كانت صغيرة الحجم قوية الدفع ، لأنها كانت تسقط على رأس
المجرم فتخرج من دبره .

(١) تفسير القرطبي : سورة هود .

(٢) تفسير الفخر الرازى : سورة هود .

ونفهم من قوله تعالى عن الحجارة التي أصابت قوم لوط أنها «مسومة
عند ربك» لا يتحتم أن يعنى أنها شئ يأتى من خارج أقطار الكرة الأرضية
وغلافها الجوى ، ذلك أنا نجد فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم قوله «
من عند الله» يعنى أشياء وأحداث أرضية لكنها تمت بإرادة الله وأمره
وعلمه . ويتضح ذلك من آيات كثيرة نذكر منها :

« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين
أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » .
(البقرة : ١٠١)

فرسول الله انسان بشر من الأرض ، ولد وعاش على الأرض كما يعيش
البشر ، لكنه قام « داعيا الى الله بإذنه » وقد أوحى اليه كما أوحى الى
نوح والنبين من بعده ، وأن القرآن الذى أنزل اليه « انما أنزل بعلم
الله » - من أجل ذلك قيل أنه « رسول من عند الله » .

وبالمثل نفهم قوله تعالى :

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلننصنعه
الله على الكافرين » .
(البقرة : ٨٩)

فالكتاب الكريم من الله ، نزل بعلمه ، وكتب فى الأرض على ورق أو
قماش بأيدي بشرية ، لكنه بقى كتابا « من عند الله » .

وبالمثل أيضا قوله تعالى :

« قل هل تترهبون بنا الا احلى الحسين ، ونحن تترهبون بكم ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا ، فترهبوا انا معكم مترهبون » .
(التوبة : ٥٢)

فمذاب الله المنتظر لأولئك المناقذين لا يأتى من خارج أقطار الأرض ،
لكنه يمكن أن يأتى فى صورة كوارث طبيعية أو هزيمة عسكرية يذوقون
فيها الآلام والقتل والتخريب ، لكنه تعبير القرآن الكريم « عذاب من عنده »
لأنه يتم بأمر الله وعلمه .

وإذا كان هذا ما يمكن أن يقال في معنى قوله « من عند الله » فمن باب أولى أن يقال نفس الشيء في معنى قوله « عند ربك » .

« وعلى ذلك يمكن القول بأن « مسومة عند ربك » تعنى مخصصة ، أو مقدرة من الله تعالى — لتصيب النظام وفق قدر موقوت ، كذلك الذى يقضى على كل انسان حين ينتضى أجله ، كما في قوله تعالى :

« وطائفة قد اهتمهم انفسهم .. يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » .
(آل عمران : ١٥٤)

* * *

هذا — ومن المعلوم أن قوم لوط يعتبرون من هلكى الصيحة ، وفي هذا قول سورة الحجر :

« فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليهم حجارة من سجيل . ان في ذلك لآيات للمتوسمين . وانها لبسبيل مقيم .
ان في ذلك لآية للمؤمنين » .
(الحجر : ٧٣ - ٧٧)

ويقول المفسرون : يقول تعالى (فأخذتهم الصيحة) وهى ماجاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وطلوعها ، وذلك مع رفع بلادهم الى عذان السماء ثم قلبها ، وجعل عاليها سافلها ، وارسال حجارة السجيل عليهم (١) .

وذكر الفخر الرازى ، ردا على الذين قالوا بأن الصيحة كانت صيحة جبريل عليه السلام « قال أهل المعانى : ليس فى الآية دلالة على أن تلك الصيحة صيحة جبريل عليه السلام ، فان ثبت ذلك بدليل قوى قيل به ، والا فليس فى الآية دلالة الا على أنه جاءهم صيحة عظيمة مهلكة .

واعلم أن الآية تدل على أنه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب :

(١) تفسير ابن كثير : سورة الحجر .

أحدهما الصيحة الهائلة المنكرة ، وثانيهما أن جبل عاليها سافلها ،
وثالثها أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل (١) .

* * *

ولقد ألحت سورة الحجر الى أهمية بقايا ديار قوم لوط فقالت :
« ان في ذلك لآيات للمتوسمين » ، وهم الذين يتفرون ويقدرّون على
استنباط حقائق الأمور .

بعد ذلك نزلت سورة العنكبوت لتحدثنا صراحة فتقول :

« انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون .

ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » . (العنكبوت : ٢٤ - ٢٥)

ولا يهنا ما قاله المفسرون في تفسير ذلك الرجز ، فقد ذهبوا فيه
مذاهب شتى ، ولهذا قال الفخر الرازي : « اختلفوا في ذلك فقال بعضهم :
حجارة ، وقيل نار ، وقيل خسف » .

لكن ما يهنا هو ما تهرره سورة العنكبوت من وجود آية أو علامة
واضحة في بقايا ديارهم ، وهو الشيء الذي أكدته سورة الذاريات التي
نزلت بعد ذلك اذ تقول :

« وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم » .

(الذاريات : ٣٧)

لقد حام المفسرون حول ما يمكن أن يصل بنا الى حقيقة ما أصاب
قوم لوط حين قالوا في تفسير هذه الآية : « هو ماء أسود متّين انشقت
أرضهم وخرج منها ، وقيل حجارة مرمية في ديارهم وهي بين الشام
والحجاز (٢) .

(١) تفسير الفخر الرازي : سورة الحجر .

(٢) تفسير الفخر الرازي : سورة الذاريات .

ونود الآن قبل تلخيص قصة تدمير قوم لوط أن نعرف حقيقة موقف امرأته .

لقد ذكر القرآن الكريم صراحة وفي أكثر من موضع أنها هلكت مع الهالكين ، فمن ثم لم تعد نهايتها موضع تساؤل .

لكن السؤال الذي نطرحه هو : هل خرجت امرأة لوط مع زوجها وأهله المؤمنين ، ثم هلكت في الطريق حين نظرت خلفها عند وقوع العذاب فخالفت بذلك تعليمات النجاة - أم أن هلاكها حدث أساسا لأنها بقيت مع قومه الغابرين ولم تكن في زمرة لوط من المخرجين .

وللاجابة على هذا السؤال نراجع أقوال المفسرين ، ثم ننظر في آيات القرآن الكريم لنعلم منها حقيقة ما كان .

ولما كانت كتب التفسير لا تفسر سورة القرآن الكريم وفق ترتيب نزولها بل حسب ترتيبها في المصحف ، فلسوف نراعى ذلك في عرض أقوالهم . ونبدأ بما في سورة الاعراف التي تقول : « فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » .

وفي هذا ذكر ابن كثير « الأظهر أنها لم تخرج من البلد ولا اعلمها لوط بل بقيت معهم . ولهذا قال ههنا (الا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقين ، وقيل من الهالكين وهو تفسير باللازم » .

فكلمة « الأظهر » هنا تفيد الترجيح الغالب بأن امرأة لوط لم تخرج معه ، ولكن هذا الترجيح يعني أن هناك قلة من الآراء تقول بأنها خرجت مع لوط وأن هلاكها تم في الطريق .

ولا شك أن آراء تلك القلة كانت متأثرة بما تقوله المصادر الاسرائيلية في هذا الموضوع ، والتي تنص صراحة على أن امرأة لوط خرجت معه ، كما تنص على أن هلاكها حدث حين التفتت خلفها .

بعد ذلك تقول سورة هود : « فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحدا الا امرأتك انه مصيها بما أصابهم ، أن موعدهم الصبح ، ليس الصبح بقريب » .

وقد ذكر ابن كثير في تفسيرها : (الا امرأتك) قال الأكثرون هو استثناء من المثبت ، وهو قوله (فأسر بأهلك) تقديره « الا امرأتك »

لكن آراء تلك لقلة اختلفت من تفسير ابن كثير لبقية آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن هلاك قوم لوط .

فوجد في سورة الحجر :

« قالوا انا ارسلنا الى قوم مجريين . الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين . الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين » .

وقد جاء في تفسيرها : « اخبروه (أى ابراهيم) أنهم سينجون آل لوط من بينهم الا امراته فانها من الهالكين . ولهذا قالوا (الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين) أى الباقيين المهلكين » .

ونجد في سورة الشعراء :

« فنجيناه واهله اجمعين . الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين »

وقد جاء في تفسيرها : « (فنجيناه واهله اجمعين) أى كلهم (الا عجوزا فى الغابرين) وهى امراته ، وكانت عجوز سوء بقتت فهلكت مع من بقى من قومها وذلك كما اخبر الله تعالى عنهم فى سورتي الاعراف وهود ، وكذا فى سورة الحجر حين أمره الله أن يسرى بأهله الا امراته ، وانهم لا يلتفتوا اذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومهم ، فصبروا لأمر الله ، واستمروا فى السير ، وأنزل الله على أولئك العذاب الذى عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود .

ان هذا يعطى اجابة واضحة للسؤال الذى طرحناه ، فنعلم أن امرأة لوط بقيت مع الباقين فهلكت .

بعد ذلك قرأ فى سورة الصافات :

« وان لوطا لمن المرسلين . اذ نجيناه واهله اجمعين . الا عجوزا فى الفابرين . ثم دمرنا الآخرين » . (الصافات : ١٣٣ - ١٣٦)

ويقيننا أن هذه الآيات بينات لا تحتاج الى تفسير ، فهى تقرر كسابقتها - من سورة الشعراء - أن العملية تمت على مرحلتين :

الأولى : النجاة - وكانت للوط وأهله اجمعين ، الا امرأته التى استثنيت منها كما ذكرت ذلك صراحة آيات سورتي الشعراء والصافات .

الثانية : التدمير - وهى مرحلة تالية زمنيا لمرحلة النجاة كما يدل عليها الحرف « ثم » . لقد حدثت النجاة وفق قوانين الطبيعة التى سنها الله الخلاق العليم فى كونه ، والتى أرادها أن تعمل دائما رغم تطلعات البشر فى كل زمان ومكان الى الخوارق ومخالفات السنن الكونية .

لذلك كان الخروج بعيدا عن منطقة الخطر التى ينتظرها التدمير هو السبيل الوحيد للنجاة .

ولقد كان ذلك هو الواجب الذى قامت به الملائكة حين أخرجت لوطا ومن معه من المؤمنين - والمؤمنين فقط - فى الهزيع الأخير من الليل ، حتى اذا جاء الصبح وقت التدمير كانوا بعيدا عن مكان الخطر ، وبذلك تمت نجاتهم . وتؤكد هذا المفهوم حين قرأ آية سورة الذاريات :

« فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين » .

وما كانت امرأة لوط من جماعة المؤمنين حتى تكون فى زمرة المخرجين الناجين .

مما سبق يتبين لنا أن امرأة لوط لم تخرج فى رحلة النجاة ولكنها بقيت مع الهالكين .



هذا ويمكن تلخيص قصة قوم لوط وما أصابهم وفق روايات المفسرين
وتصوراتهم في الآتي :

١ - رفض قوم لوط دعوته الى التطهر وتهويم السلوك الاجتماعى ،
وطلبوا منه الكف عن مواعظه فيهم والا أخرجوه منفا من قراهم
فقد قالوا له :

« لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين » .

وهناك بلغت رسالة لوط غايتها فلم يجد له ملجأ سوى الله
بعد أن يعلن رفضه لاعمالهم ،

فقال : « انى لعنكم من القالين . رب نجنى واهلى مما يعمهون » (١) .

٢ - ولقد استجاب الله دعاءه فجاءته الملائكة فى صور بشرية لتهديه
سبيل النجاة باتباع الخطوات التالية :

(أ) أن يسرى بالمؤمنين فى السحر ، فيغادر القرى الآثمة فى الجزء
الأخير من الليل ، أى قبل طلوع الشمس بوقت كاف .
(ب) وان تهود الملائكة الرحل الى مكان النجاة ، ويكون لوط
فى أعقابهم .

(ج) وحين يسمع لوط ومن معه ما سوف ينزل بتلك القرى
الآثمة ، «فلا تهولنهم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن يستمروا
ذاهبين » . بعيدا عنها .

٣ - لما جاء أمر الله بتدميرهم فانه - تعالى - «عذبهم بثلاثة أنواع من
العذاب :

أحدها الصيحة الهائلة المنكرة ، وثانيها أنه جعل عاليها سافلها ،
وثالثها أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل » .

(١) سورة الشعراء : ١٦٧ - ١٦٦ .

ولما « كانت قرى لوط خمس قريات : سدوم وهي العظمى .. »
فنس المرجح أنها كانت على مرتفع من الأرض كما هو الغالب في
بناء المدن والقرى وخاصة في تلك الازمنة ، كما أنها باعتبارها
العظمى ، تكون أسواق الفساد والمتعة فيها أكبر ، لذلك كان
ما نزل بها مروعا ، فقد سويت بالأرض ، فصارت تلك القرية
« سافلها » بعد أن كانت « عاليها » ويحدث ذلك بفعل زلزال
موقوت أو انفجار مروع أو نحو ذلك .

٤ - وقد اختلف المنسرون في معنى « حجارة من سجيل منضود ،
مسومة » ولعل من أهم ما قالوه :

(سجيل) موضع الحجارة وهي جبال مخصوصة .. وأنها حجارة
مشوية ، والسجيل عند العرب كل شديد صلب . (ومنضود)
محتاج . (ومسومة) معلقة أو بها نضح من حمرة ، وكان عليها
سيما لا تشارك حجارة الأرض وتدل على أنه تعالى إنما خلقها
للعذاب .

٥ - ثم يبقى ما تكرر ذكره في القرآن الكريم من أهمية البحث في بقايا
ديار قوم لوط ، فذكره في آيات بينات لا تحتاج الى تفسير .
فقد جاء ذكرها - وفق ترتيب نزولها - تليحا في سورة الحجر ،
فقال : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » .

ثم ذكرها تصرحا في سورة العنكبوت ، فقال :

« ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » .

ثم ذكرها تأكيدا في سورة الذاريات فقال :

« وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم » .

ولقد كان المنسرون موقنين في قولهم بأن المقصود بهذه الآية التي
تركت في بقايا قراهم هي « حجارة مرمية في ديارهم » .

تدمير قوم شعيب :

جاء اول ذكر في القرآن الكريم لتدمير قوم شعيب ، في صورة

الاعراف اذ يقول :

« فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جائمين • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين». (الاعراف : ٨٥ - ٩٣)

ان الآيات بينات لا تحتاج الى تفسير فقد حل بهم شيء ما حل بشمود .

بعد ذلك ذكر القرآن الكريم مزيدا من عناد قوم شعيب ، كما ذكر مزيدا من كيفية تدميرهم ، وذلك في قوله :

« قالوا انما انت من المسحرين ، وما انت الا بشر مثلنا ، وان ظنك لمن الكاذبين • فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين • قال ربي اعلم بما تعملون • فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة ، انه كان عذاب يوم عظيم » . (الشعراء : ١٨٥ - ١٨٩)

وفي هذا قال المنسرون : « أصابهم عذاب يوم الظلة ، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم ، فزهقت الأرواح وغاصت النفوس وخصمت الاجسام » (١) .

وقال المنسرون : لقد جاءهم المذاب « من جنس ما سألوه من اسقاط الكسف عليهم ، فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يمكنهم منه شيء ثم أقبلت اليهم سحابة اظلتهم فجعلوا ينطلقون اليها يستظلون بظلها من الحر . فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله عليهم منها شررا من نار ولهب ووهجا عظيما ، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهدت أرواحهم .

(١) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

وقال محمد بن كعب القرظي : ان أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب :

أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد .. فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت اليوم ظلا أظلم ولا أبرد من هذا . فدخلوا جميعا تحت الظلة ، فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ..

وقال محمد بن جرير : حدثني الحارث .. حدثني يزيد الباهلي ، سألت ابن عباس عن هذه الآية (فأخذهم عذاب يوم الظلة) الآية ، قال بعث الله عليهم رعدة وحرا شديدا فاخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا الى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة فاظلمت من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها ارسل الله عليهم نارا . قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة » (١) .

ولقد نجى الله شعبيا ومن معه من المؤمنين قبل أن ينزل العذاب بقومه ، فقال سبحانه :

« ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ، واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائنين » . (هود : ٩٤)

ثم قال - تعالى - في شأن أصحاب الأيكة قوم شعيب عقب ذكر ما حل بقوم لوط :

« ان في ذلك لآية للمؤمنين . وان كان اصحاب الايكة لظالمين فاننتقمنا منهم وانهما لبامام مبين » . (الحجر : ٧٧ - ٧٩)

وفي هذا قال المفسرون : (اتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالى (وانهما لبامام مبين) أى طريق مبين . قال

(١) تفسير ابن كثير : سورة الشعراء .

ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره : طريق ظاهر . ولهذا أنذر شعيب
قومه ، قال في نذراته اياهم (وما قوم لوط منكم ببعيد) (١) .

* * *

وتتلخص كيفية تدمير قوم شعيب ، حسب أقوال المفسرين في الآتي :

١ - تعرض الهلكى من قوم شعيب لثلاثة أنواع من العذاب فقد
« أقبلت اليهم سحابة أظلمتهم » ، وأصابتهم صيحة عظيمة ، ورجفة
شديدة .

٢ - واتفق المفسرون على أن الكارثة التي حلت بهم كانت تكمن في
تنك الظلة ، فقد كان « فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم » .

٣ - واقد قضى عليهم جميعا ، اذ « زهقت الارواح وفاضت النفوس
وخملت الأجسام » مرة واحدة «

* * *

(١) تفسير ابن كثير : سورة الحجر .

مجمل القول في تدمير الغابرين من أقوام صالح ولوط وشعيب .

والآن نوجز خلاصة ما أوردناه في تدمير أولئك الغابرين في الآتي :

١ - اشترك الهلكى من الأقوام الثلاثة في احدى صور العذاب الذى نزل بهم ، وهى الصيحة ولذلك أطلقنا عليهم هلكى الصيحة .

واشتركت ثمود قوم صالح ، وأصحاب مدين قوم شعيب فى تعرضهم للرجفة .

٢ - اكن كلا من أولئك الأقوام الثلاثة اتخذت الكارثة التى نزلت بهم صورة متميزة تفردوا بها .

فبالنسبة لشود « أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » .

وأما قوم لوط فقد امطر الله «عليهم مطرا ، فساء مطر المنذرين»

وأما قوم شعيب فقد «أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب

يوم عظيم » .

وبذلك نميز هلكى الصيحة بقولنا :

ثمود الصاعقة ، وقوم لوط هلكى مطر السوء ، وقوم شعيب أصحاب الظلة .

٣ - ويتلخص ما أصاب كلا منهم فيما يلى :

(١) ثمود الصاعقة :

١ - أصابهم ثلاثة أنواع من العذاب ، فقد أخذتهم

الصاعقة ، وأرسلت عليهم صيحة من السماء ،

وأخذتهم رجفة شديدة .

٢ - فنزلت بهم نار من السماء روعتهم بوجهها الشديد
وبأصواتها المفزعة ، فاحترقوا وصاروا كالرماد أو
كالتراب المتناثر من العائط .

٣ - واعتبرت ديارهم منطقة ملوثة بها آثار من اللعنة التي
حلت بهم ، ويمكنها أن تصيب المؤمن والكافر على
السواء ، باعتبارهما من الكائنات الحية . لذلك حظر
السكن بها أو استخدام مياهها ، وان كان لا بد
للإنسان من المرور عليها فليكن سريعا خشية أن يصيبه ما
أصابهم .

(ب) قوم لوط هلكى مطر السوء :

١ - أصابهم ثلاثة أنواع من العذاب : أحدها الصيحة
المنكرة ، وثانيها جعل عاليها سافلها ، وثالثها مطر
السوء ، وهو حجارة من سجيل منضود خصصت لهم .
ولقد كانت تلك الحجارة شديدة الوقع ذات أثر فتاك .

٢ - ولكى ينجو لوط من معه من المؤمنين فقد كان عليهم
أن يهربوا بعيدا عن مكان الكارثة التى ينتظرو وقوعها
بعد شروق الشمس . لذلك رحلوا عن المكان فى
السحر ، فقطعوا مسيرة نحو ثلاث ساعات أو ما يعادل
مسافة نحو ٢٠ كيلومترا .

٣ - ولا تزال بقايا قرى قوم لوط تحدثنا بما فيها من علامات
بحقيقة ما نزل بهم من عذاب اليم .

(ج) قوم شعيب اصحاب الظلة :

١ - أصابهم ثلاثة أنواع من العذاب : فقد ارتفعت فوقهم
الظلة ، وأصابتهم صيحة عظيمة ، ورجفة شديدة .

٢ - فهلكوا جميعا حين غشيتهم تلك الظلة التي كان فيها
« شرر من نار ولهب ووهج عظيم » .

* * *

وبعد - لقد سبق أن قلنا في نهاية الحديث عن تدمير ثمود بأن :
أحاديث الرسول وما يستخلص من أقوال المفسرين تقودنا الى استنباط
أن : ما حل بشمود كان تدميرا ذريا . ولنقرأ الآن الفقرة التالية التي وردت
في تقرير علمي ، ثم لننظر ماذا نرى :

« دلت التفاعلات والبلورات الرملية التي وجدت في هيروشيما
(باليابان) على أن تربتها تحولت بعد القاء القنبلة الذرية عليها الى بقايا اشبه
بما كان في سدوم وعمورة في فلسطين حيث عاش قوم لوط . وقد فكر كثير
من العلماء في تلك الظاهرة القديمة التي محت تلك البلاد ، وان القسوة التي
فتكت بها ربما كانت قوة ذرية (١)

ولعلنا نستطيع الآن أن نقرر بمزيد من الثقة ان تدمير أولئك الاقدمين
من اقوام : صالح ولوط وشعيب ، كان تدميرا ذريا .

وما أحسب الا أننا سوف نزداد اقتناعا بصحة هذا الاستنتاج الذي
توصلنا اليه ، بعد أن نلم بشيء من معطيات العلم الحديث في مجال التدمير
الذري .

* * *

(١) قصة اللذة - ص ١٤١ .

